أهمية الكتابة فى الحضارة العربية

د/عبدالهادى أحمد أبوالقاسم

الملخص:

لما كانت حياة الناس تتوقف دائما على العهود والمواثيق والمعاملات فيما بينهم ، وقضاء حوائجهم بعضهم بعضا. وقد ينشب الخلاف والمشاحنة بين أفراد المجتمع وأحيانا بين أفراد الأسرة الواحدة ولأتفه الأسباب ؛ وهذا كله جعل الشريعة الإسلامية تراعي هذه الظاهرة ، فأمرت بالكتابة والتوثيق والتدوين صونا للحقوق والواجبات وإقامة الحجة بالدليل والبرهان ؛ من أجل ذلك حققت الكتابة دروها ووظيفتها في هذا المجال .. وقبل أن تصل الكتابة إلى صورتها التي عرفها العالم اليوم نجد أنها مرت بالعديد من الأطوار .. ؛ حيث تدل الشواهد دلالة قطعية على أن الكتابة تمتد جذورها إلى الجاهلية ، وأن العرب قديما انتشرت بينهم الكتابة ليس في الحواضر فقط ، وإنما أيضا في البادية ؛ فهناك منهم من اشتهر بالكتابة قبل الإسلام مثل : (أكثم بن صُفي،وابن أبي حنظلة ،والمرقش الأكبر،ولبيد بن أبي ربيعة)، ثم اتسعت رقعة الكتابة وامتدت جذورها مواكبة الحضارة وما حققته كل منهما من تقدم ورقي وازدهار .

وقد تضمن هذا البحث أهمية الكتابة في الحضارة العربية ، وكيف بدأت الكتابة في صورة بدائية ثم التحمت بالحضارة ، وتدرجت معها شيئا فشيئا نحو التقدم والرقي ، الأمر الذي دفع بالحضارة أن تبسط جناحيها وأن تحقق للبشرية ماتصبو إليه ، وتسعى إلى تحقيقه . وبفضل ذلك نمت الكتابة وازدهرت الحضارة ، وتأثرت كل منهما بالأخرى تاركة بصمات لا تمحى مهما عف عليها الزمن ومرت عليها العصور ، ومما لا شك فيه أن العرب دائما سباقون لخوض مجال العلم والبحث دون غيرهم من الشعوب الأخرى ، وذلك في مختلف مجالات الحياة .

الكلمات المفتاحية :

الكتابة – الأمية – التدوين – المستشرقون .

Summary :

People's lives always depend on covenants, covenants and transactions among themselves, and their arguments are spent together. All of this has made The

Islamic law take into account this phenomenon, so I ordered writing, documentation and blogging to preserve rights and duties and to establish an argument with evidence and proof. Before writing reaches the image of the world today, it has gone through a lot of phases. The evidence shows conclusive evidence that the writing has its roots in the jahiliya, and that the Arabs have spread among them in the past, not only in the urban areas, but also in the badia, there are some of them who are famous for writing before Islam, such as: Aktham ibn Safi, Ibn Abu Hanzala, al-Marqesh al-Akbar, and Alibid ibn Abi Rabia, then the writing has expanded and its roots have spread to keep pace with civilization and the progress of paper and prosperity.

This research included the importance of writing in Arab civilization, and how it began to write in a primitive to the civilization, and gradually incorporated with it towards progress and advancement, which led civilization to simplify its wings and to achieve for humanity what it aspires to, and seek sought to achieve it. Thanks to this, writing has grown and civilization has flourished, and each has been affected by each other, leaving an indelible mark, no matter how old it is, and there is no doubt that Arabs are always racing to the field of science and research, in different fields of life .

Keywords :
Writing, illiteracy, blogging, orientalists.

أهمية الكتابة فى الحضارة العربية

هذا موضوع جدير بالبحث والدراسة والاهتمام، ويحتاج إلى وقفة تأمل ونظر. وقبل أن نخوض غمار الحديث فيه يجدر بنا وضعه فى عناصر محددة وأفكار رئيسة حتى نلم به من جميع جوانبه ونحيط به إحاطة هادفة تؤدى إلى الغرض المطلوب والهدف المنشود. ورأيت أن أحدد الإطار الذى ينصب فيه هذا المقال وفق العناصر الآتية:

أولاً- مفهوم الكتابة.

ثانياً- الكتابة فى القديم.

ثالثاً- أمية الرسول صلى الله عليه وسلم.

رابعاً- الكتابة في صدر الإسلام.

خامساً- التدوين وتطور الكتابة .

سادساً- فضل العرب على الغرب .

فالكتابة هى الدعامة الأساسية لربط الصلة بين الناس بعضهم بعضاً، حيث العلم والمعرفة والمواثيق والعهود والمصالحة وإبرام العقود لا يعتد بها ولا تعد الحجة البالغة أو الدليل القاطع إلا عن طريق الكتابة والإثبات؛ فالبيع والشراء والدَّين أول ما نص عليه الشارع الحكيم وأمر بتوثيقه. قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**﴾ (البقرة: ٢٨٢) وقال تعالى: ﴿**إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا** ﴾ (البقرة: ٢٨٢).

من أجل ذلك رأينا أن نتناول هذا الموضوع ومدى أهميته فى الحضارة العربية.

أولاً- مفهوم الكتابة لغة واصطلاحاً:

(أ) الكتابة فى اللغة مصدرها "كتب" وهذا فعل اشتقاقها ومصدرها. وهو ما ذهب إليه الأصمعى الذى ذكر بأنها سميت كتابة،«لأنه يجمع بها بعض الحروف إلى بعض كما يجمع الشيء إلى الشيء، وهو مأخوذ من الكتيبة ؛ وهى الخيل المجموعة، وتكبَّت القوم: تجمعوا. ومنه كتبت البغلة: أى جمعت بين شفريتها بحلقه .. وقيل للكاتب كاتب: لأنه يضم بعض الحروف إلى بعض ويؤلفها، كما سمى خرز القربة "كتابة" لضم بعض الخرز إلى بعض»[1].

(ب) أما فى الاصطلاح فهى تعنى صناعة الإنشاء ... وهى لا يراد بها غير ذلك. وقد سمى (العسكرى) كتابه "الصناعتين الشعر والكتابة" يريد كتابة الإنشاء، وسمى (ابن الأثير) كتابه "المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر" يريد كاتب الإنشاء[٢].

قال ابن الأعرابى: «وقد تطلق الكتابة على العلم ومنه قوله تعالى: ﴿**أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ**﴾،((سورة القلم:٤٧)) أى يعلمون. وعلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فى كتابه لأهل اليمن حين بعث إليهم معاذاً وغيره «إنى بعثت إليكم كاتباً». قال ابن الأثير فى غريب الحديث: «أراد عالماً سمى بذلك لأن الغالب على من كان يعلم الكتابة أن عنده علماً ومعرفة، وكان الكاتب عندهم قليلاً وفيهم غزيراً»[٣].

وقد تعنى الكتابة الخط؛ لأنه يتضمن معنى الكتابة كما «يطلق الخط على علم الرمل، قال عليه الصلاة والسلام: (كان نبى من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك)[*]. رواه مسلم. وهو يعنى إدريس عليه السلام. ويطلق أيضاً فى علم الهندسة على ما له طول فقط»[٤].

ثانياً– الكتابة فى القديم :

الحديث عن الكتابة في القديم يجرنا إلى معرفة اختراع الكتابة أول الأمر ، وقبل أن نأخذ مفهوم الكتابة بمعناه المتداول بين الأمم .. نؤكد بأنه مر على الإنسان حين من الدهر لا يعرف شيئا اسمه (الكتابة) ، وهذا ما عناه جورجي زيدان : «... فقضى الإنسان قرونا متطاولة يأكل ويشرب ويلبس وينام ويتكلم ، ولكنه لا يكتب ، فما لبث أن تكاثر وتآلف واتسعت علاقته ، وعكف على الأسفار التماسا للرزق حتى اضطر إلى الكتابة لمخابرة جاره ، أو تدوين حوادث أمسه أو تقييد ملاحظته وآثاره »[٥].

ولعل وجود الكتاب فى الأمم السابقة شيء لا ينكر وحقيقة لا تقبل الشك والنقاش، فقد عرفت البشرية ذلك منذ أن كان لها معرفة بالقراءة والكتابة، وقد جاءت كتابات السومريين فى عهود سابقة قبل الميلاد ثم تلاهم الفراعنة وكانت كتاباتهم على رقم من طين وعلى جدران المعابد. وفى عام (٣٣٢ ق.م) دخل الإسكندر مصر وأسس مدينة الإسكندرية بطليموس الأول الذى أسس دار الفنون والمكتبة العظيمة بالإسكندرية «وعلى مقربة من دار الفنون قامت (المكتبة)، حيث كان النساخون يعكفون على نقل المخطوطات القديمة، والطلاب ينتفعون بمؤلفات الأجيال السالفة»[٦]. وبهذا أصبحت دار الفنون والمكتبة بمثابة جامعة يفد إليها طلاب

العلم وقادة الفكر من كافة بلدان اليونان، الأمر الذى يعطى دليلاً بالغاً على مدى اهتمام الإغريق بالكتب والكتابة.

ويبدو أن الكتابة –أول الأمر– بدأت «بطريقة الرسم، ثم تطورت إلى الرمز، وأقدم كتابة: الكتابة الهيروغليفية القديمة بمصر»[٧].

واستمرت الكتابة على هذا النمط الذى عرفه أوائل المصريين إلى أن تطورت على أيدى الفينيقيين إلى الحروف الهجائية التى علموها «لليونان فى القرن السادس عشر قبل الميلاد وللأشوريين بعد ذلك بقليل وعرفت بالحرف الآرامى ..»[٨].

ويرى بعض المستشرقين «أن أصل الكتابة بالحروف بعد الكتابة الهيروغليفية كان فى اليمن، وأن اليمانيين هم الذين اخترعوا الكتابة وليس الفينيقيين»[٩]. وهذا الكلام يعوزه شيئ من الدقة ، فلربما الرأي الأدق أن اليمانيين عرفوا الكتابة المسمارية،في حين يبقى فضل اختراع الحروف الأبجدية للفينيقيين،وهم الذين طوروا الكتابة،والأبجدية المتداولة اليوم في اللغات كلها هي الأبجدية الفينيقية،إذ عنهم أخدها الإغريق،وطوروا فيها،وأعطوها الشكل المعروف .

وهكذا مرت الكتابة بالعديد من الأطوار قبل أن تصل إلى صورتها التى عرفها العالم اليوم.

أما فى العصر الجاهلى فإن الكتابة لم تأخذ نصيباً وافراً ولم تحظ بمكانة مرموقة؛ نظراً لأن عرب الجاهلية أميون لا يعرفون القراءة والكتابة، بل كان جل اعتمادهم على الرواية لاسيما فى أشعارهم التى يروونها وينقلها جيل عن جيل مشافهة وفق فطرتهم وسليقتهم[١٠].

يقول الجاحظ فى البيان والتبيين: «وكل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتجال ... ثم لا يقيده العربى على نفسه ولا يَدْرُسُه أحداً من ولده، وكانوا أميين لا يكتبون»[١١].

والجاحظ بوصفه ناقداً بارعاً إلا أن كلامه هذا لا ينبغى التسليم به والتأكيد عليه، وما ذهب إليه فهو يمثل وجهة نظره الخاصة، وإن كانت الحقيقة تخالف ذلك، حيث العرب قبل الإسلام لم يكونوا فى معزل عن الكتابة ولا يعرفونها ألبتة، بل كانت موجودة عند بعضهم.

وهذا أمر تؤكده النقوش التى اكتشفت حديثاً، ومن بينها النقش الذى وجد على قبر امرئ القيس بن عمر ثانى ملوك بنى نصر فى الحيرة، وكذلك النقش الذى وجد على دير هند أم الملك عمرو بن هند بالحيرة والنقش الذى وجد على كنيسة باليمن فى عهد أبرهة الحبشي.

ولا يكاد يخلو حجر فى جنوبى الجزيرة العربية... من نقش تذكارى نقشه كتّاب محترفون أو غير محترفين من الرعاة ورجال القوافل، يذكرون فيه أسماء آلهتهم متضرعين إليها أن تجمعهم،

وقد يذكرون ما يقدمون إليها من قرابين، وقد يكتبونها على قبور أسمائهم وأسماء عشائرهم وما قام به الميت من أعمال، وقد يودعونها قوانينهم وشرائعهم»[١٢].

فهذه النقوش وغيرها تدل على وجود الكتابة والقراءة.

ولقد أكد جماعة من الباحثين أمثال جرجى زيدان والدكتور شوقى ضيف والدكتور ناصر الدين الأسد أن العرب استخدموا الكتابة فى الكتب الدينية المتصلة باليهود والنصارى وفى تسجيل العهود والمواثيق والأحلاف والصكوك التى يكتبونها فى حساب تجارتهم وحقوقهم على غيرهم.

إذن لا ننفى معرفة العرب للكتابة على الإطلاق، فالجاحظ نفسه الذى ينكر على العرب معرفتهم بالكتابة ويصفهم بالأمية نجده لا ينكر عن أى جنس من الأجناس أو أمة من الأمم ذلك فيقول فى كتابه الحيوان: «وليس فى الأرض أمة بها طِرْق[*] أو مُسكة ولا جيل لهم قَبْض وسط إلا ولهم حظ»[١٣].

ويشير الطبرى إلى أن الكتابة كانت منتشرة عند العرب قبل البعثة، ويستشهد على ذلك بقدح الجاهلية، حيث «كان كل رجل يأخذ قدحاً ويكتب فيه اسمه ... وكان عند هبل سبعة أقداح، كل قدح فيه كتاب: قدح فيه "العقل"، وقدح فيه "نعم" وقدح فيه "لا"، وقدح فيه "منكم" وقدح فيه "ملصق"، وقدح فيه "من غيركم"، وقدح فيه "المياه"»[١٤].

ولعل هذه الرموز والإشارات التى يسوقها الطبرى تبرهن على أن عرب الجاهلية كانوا يعرفون الكتابة بصرف النظر عن استعمالها فيما هو مشروع أو غير مشروع.

وكلام الطبرى هذا لا يتفق مع رأى الدكتور شوقى ضيف الذى يرى أن الكتابة تأخرت وهو يشكك فى تعليق الأشعار داخل الكعبة ويعدها ضرباً من الأساطير[١٥].

وهذه القضية التى يطرحها الدكتور شوقى ضيف تحتاج منا إلى إبداء رأى وإلقاء وجهة نظر؛ لأنها قضية حساسة .

والأمر الذى لا ريب فيه أننا نجد بين أيدينا العديد من الشواهد التى تدل دلالة قطعية على أن الكتابة تمتد جذورها إلى الجاهلية، وأن العرب قديماً انتشرت بينهم الكتابة ليس فى الحواضر فقط وإنما أيضاً فى البادية، فهناك منهم من اشتهر بالكتابة قبل الإسلام مثل: (أكثم بن صفى وابن أبى حنظلة والمرقش الأكبر ولبيد بن أبى ربيعة.

وكثيراً ما ورد فى أشعارهم ما يدل على ذلك، كما جاء فى قول المرقش الأكبر:

الدار قفر والرسوم كما رقش من ظهر الأديم القلم

وقد ورد فى السيرة: «أن قصى بن كلاب جد عبد المطلب كان قد كتب إلى أخيه رزاح بن ربيعة فى الشام يدعوه إلى نصرته»[١٦].

ويشير الأب لويس شيخو أن الكتابة كانت شائعة بين النصارى قبل الهجرة ويستدل على ذلك بشعر المعلقات التى «كتبت على الحرير وعلقت على أستار الكعبة ... ففى كتابتها برهان على شيوع فن الخط بين النصارى»[١٧].

وكان أول ما اعتنى به العرب فى الكتابة ما جاء فى «تدوين أخبار آبائهم فى الجاهلية، وأنسابهم وأشعارهم فكثر بينهم علماء النسب وأصحاب الأخبار»[١٨].

وقيل: «إن الخطوط كلها أنزلت على آدم عليه السلام فى إحدى وعشرين صحيفة»[١٩].

أما عن اللسان الذى نزل به آدم من الجنة فقد «أخرج ابن جرير عن ابن زيد فى قوله تعالى: ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا**...﴾. قال: أسماء ذريته أجمعين. وأخرج عن الربيع بن أنس أنها أسماء الملائكة»[٢٠]. أما أول من تكلم بالعربية فهو إسماعيل ونسى لسان أبيه إبراهيم عليهما السلام[٢١].

ومما لاشك فيه أن الشعوب العربية القديمة في اليمن كان عندها خط وكتابة،وهو الخط المسماري؛ ويدل عليه الكتاب الذى حمله الهدهد إلى بلقيس ملكة سبأ التى تحدث القرآن الكريم على لسانها فى قوله تعالى: ﴿ **إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ (النمل: ٢٩، ٣٠).

أما من يزعم بأن العرب القدامى أميون وأنهم استدلوا على رأيهم هذا بإطلاقهم لفظة (الجاهلية) على أيامهم والتى وردت فى أشعارهم كقول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا[٢٢]

أى لا يسفه أحد علينا، فنسفه عليهم فوق سفههم، أى نجازيهم جزاء يربى عليه[٢٣].

فإن القرآن الكريم وصف العرب فى جاهليتهم بأنهم أميون حيث ورد ذلك فى ثلاث آيات، قال تعالى: ﴿**وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ**﴾ (آل عمران: ٢٠).

وقوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ**﴾ (آل عمران: ٧٥)، وقول تعالى:

﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ** ﴾ (الجمعة: ٢). لكن أى أمية هذه يا ترى؟ يذهب الدكتور ناصر الدين الأسد[٢٤] إلى أن هذه الأمية التى أشار إليها القرآن الكريم لا تعنى

الأمية الكتابية أو العلمية بقدر ما تعنى الأمية الدينية، أى لم يكن لديهم كتاب دينى قبل القرآن الكريم ولم يكونوا مثل "أهل الكتاب" من اليهود والنصارى أصحاب التوراة والإنجيل، ويسوق الباحث دليله للاحتجاج بهذا الرأى مشيراً إلى قوله تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾ (البقرة: ٧٨،٧٩).

وقد فسر ابن عباس هاتين الآيتين بقوله: «ومنهم أميون؛ قال: الأميون قوم لم يصدقوا رسولاً أرسله الله، ولا كتاباً أنزله الله، فكتبوا كتاباً بأيديهم، ثم قالوا لقوم سِفْلة جهال: هذا من عند الله. وقال: قد أخبر أنه يكتبون بأيديهم، ثم سماهم أميين، لجحودهم كتب الله ورسله»[٢٥].

ويرى الجهشيارى «أن أول من كتب بالعربية من العرب "حرب بن أمية بن عبد شمس"،ولكن من الصعب التأكد من ذلك أو ثبوته أو التسليم به تسليما مطلقاً لايقبل الشك،لأن الكتابة إبداع أجيال،تمتد على قرون،ولا يمكن نسبتها إلى فرد بعينه .

أما أول من رتب طبقات الناس، وصنف طبقات الكتّاب وبين منازلهم هو: "ممشيد بن أونجهان". وقد اتخذوا الخواتيم لكتاباتهم كما فعل ذلك الأكاسرة، حيث كانت لهم أربعة خواتيم كل منها يختص بكلمة تدل عليه، فخاتم الحرب جعلوا له كلمة (الأناة) وخاتم الخراج والعمارة (التأييد) وعلى خاتم البريد (الوحاء) أى العجلة والإسراع وعلى خاتم المظالم (العدل)[٢٦].

كما كانت ملوك فارس تحمل وتشدد على كل من نقش خاتماً على خاتم الملك أو زوره وتلحق به أشد العقوبة والأذى بل يعد ذلك من أعظم الجنايات. وروى «أن داود أول من قال: (أما بعد) وروى أن أول من قال: (أما بعد) قُسّ بن ساعدة»[٢٧]. وقد تغنى شعراء الجاهلية مفتخرين بعلمهم بالكتابة وإلمامهم بها كما جاء على لسان أمية بن أبى الصلت مفتخراً بقومه إياد قائلاً:

قومى إياد لو أنهم أَمَمْ ولو أقاموا فَتُجْزَل النَّعَمُ
قوم لهم ساحة العراق إذا ساروا جميعا والقِطُّ والقَلَمُ[٢٨]

(القط: الكتاب والصحيفة .. "عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب"، أى حسابنا أو كتابنا).

هذه هى أمية العرب وهى لا تنفى عنهم معرفتهم بالكتابة والقراءة، بقدر ما تشير إلى جهلهم بأمور الدين الأمر الذى أصبح متفشياً فيهم حتى بعد ظهور الإسلام وبعد أن بعث الله فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة.

ثالثاً– أمية الرسول صلى الله عليه وسلم:

مفهوم الأمية لغةً واصطلاحاً.

(أ) الأمية في اللغة:

جاء في لسان العرب أن «معنى الأمي منسوب إلى ماعليه جبلته أمه،أي لايكتب فهو أمي؛ لأن الكتابة مكتسبة، فكأنه، نُسب إلى مايولد عليه،أي ما ولدته أمه عليه »[٢٩].

(ب) الأمية في الاصطلاح:

جاء في دائرة المعارف في مادة (أمي)، أمي لقب محمد في القرآن،وهو لقب يرتبط من بعض الوجوه بكلمة(أمة)، ولكن يظهر أنه ليس مشتقا منها مباشرة،لأنه لم يظهر الإ بعد الهجرة،ويختلف معناه عن معنى كلمة (أمة) التي كانت شائعة قبل الهجرة . وجاء في السياق نفسه قوله «وقد استدل قوم بإطلاق لفظ أمي على محمد بأنه لم يكن يقرأ ويكتب. والحقيقة أن كلمة أمي لا علاقة لها بهذه المسألة، لأن الآية ((٧٨)) من سورة البقرة التي تدعو إلى هذا الافتراض لا ترمي الأميين بالجهل بالقراءة والكتابة بل ترميهم بعدم معرفتهم بالكتب المنزلة»[٣٠].

ويستعرض الدكتور عبدالرحمن بدوي ماجاء في لسان العرب وفي دائرة المعارف الإسلامية حيال أصل كلمة : (أمي) مصدرها راجع إلى (أمة) ، وأن الأصل الآخر لها مصدرها من الأمم ، فيرى أن : « كلا الأصلين يمكن أن يقبل من الناحية النحوية ، وليس هناك مشكلة في هذا الصدد ، ولكن من ناحية المعنى هناك اختلاف كبير ينشأ من استخدامنا للأصل الأول أو الأصل الثاني ؛ لأن الأصل الثاني للكلمة [أمي مشتقة من الأم] ، فلا يسمح لنا أن نقصد بهذه الكلمة من لا يقرأ ولا يكتب »[٣١].

وثمة من يزعم أن معنى كلمة أمي التي وُصف بها النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم ، حيث جاء زعمهم بأن الرسول عليه السلام ينتمي إلى الأمة العربية ، وكيف نحن نسلم بهذا القول والآيات القرآنية واضحة الدلالة أن النبي أرسل إلى الناس كافة سواء أكانوا عربا أو غير عرب . قال تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ** ﴾ (سبأ: ٢٨)، وقال تعالى: ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ (الأعراف: ١٥٨).

ومن اللافت للنظر أننا نجد الكثير من المستشرقين ومن على شاكلتهم يطعنون في شخصية الرسول الكريم ويرمونه بالأمية التي أخطأوا في تفسيرها،ولا أدري هل هم نسوا – ياتُرى – أم تناسوا بأن صفة الأمية تُعد تشريفاً وعلواً في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، بينما هي تُعد نقيصة مذمومة في غيره من سائر الخلق أجمعين .

ثم جاء في هذا العصر من يجتر ويُثير هذه الشبهة من جديد، ثم يلقيها على الناس حتى يُفسد عليهم دينهم الذي ارتضاه الله لهم . ولعل أهم نقاط الشبهة تتمثل في تفسير كلمتي :(الأمي) ، (إقرأ) .

أولا– تفسير كلمة الأمي :

وإذا ادعى مدع بأن الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم كان يعلم القراءة والكتابة ودليله على ذلك هو الفهم المحرف لقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ** ...﴾ (الأعراف من الآية : ١٥٧) .

وتعد أمية الرسول صلى الله عليه وسلم من أعظم وأبلغ المعجزات العقلية التي خص الله بها رسوله محمدا «اتماما للإعجاز العلمي الذي أيده الله به ، فجعل الأمية وصفاً ذاتياً له ...، ليظهر أن كماله النفساني كمال لدني إلهي،لا واسطة فيه للأسباب المتعارفة للكمالات، وبذلك كانت الأمية وصف كمال فيه،مع أنها في غيره وصف نقصان »[٣٢].

فمما لاشك فيه أن النبي الكريم محمدا صلى الله عليه وسلم قد وُلد أمياً ، وظل على ذلك إلى أن بُعث وهو أمي، وهذا كمال في حقه صلى الله عليه وسلم ومعجزة من معجزاته الشريفة. قال تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ (الجمعة :٢)

فهو مع كونه أمياً قد أتى أمته بجميع الفوائد التي أتى بها الرسل غير الأميين أممهم لا ينقص عنهم شيئاً... وفي وصف الأمي بالتلاوة،وتعليم الكتابة والحكمة، وتزكية النفوس، ضرب من محسن الطباق،لأن المتعارف عليه أن هذه مضادة للأمية [٣٣].

ويُثبت الشعر بأبيات رائعات معجزة علم الرسوم صلى الله عليه وسلم بالرغم من أميته فيقول الإمام البوصيري في قصيدته الشهيرة (البردة) :

كفاك بالعلم في الأمي معجزة في الجاهلية والتأديب في اليتم

كما لم يغب عن المشهد أمير الشعراء في العضر الحديث أحمد شوقي أشهر من عارض بردة البوصيري بقصيدته الذائعة الرائعة (نهج البردة) ، وفيها يرصد تلك المعجزة فيقول :

أخوك عيسى دعا ميتا فقام له وأنت أحييت أجيالاً من الرمم

الجهل موت فإن أوتيت معجزة فابعث من الجهل أو فابعث من الرجم

يدور أحمد بهجت في فلك ذات الفكرة، فيقول :(وعلى حين أحيا عيسى ابن مريم الموتى وأخرجهم من قبورهم ... أحيا محمد بن عبدالله الأحياء من موتهم الذي لايدركونه –وذلك أقسى أنواع الموت– وأخرجهم من ظلمات الجهل إلى طمأنينة العلم ، ومن خبل الشرك والكفر إلى علم التوحيد [٣٤] .

أما معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم بعث العرب بعثاً جديداً شهدت به الكاتبة الانجليزية (الليدي ايفلين كوبولد) حيث تقول : كان العرب قبل محمد صلى الله عليه وسلم أمة لا شأن لها ولا أهمية لقبائلها ولا لجماعتها، فلم جاء محمد صلى الله عليه وسلم بعث هذه الأمة بعثاً جديداً، يصح أن يكون أقرب إلى المعجزات، فغلبت العالم وحكمت فيه أجالا وأجالا ... لقد استطاع النبي صلى الله عليه وسلم القيام بالمعجزات والعجائب، لما تمكن من حمل هذه الأمة العربية الشديدة العنيدة على نبذ الأصنام وقبول الوحدانية الإلهية ... لقد وُفق إلى خلق العرب خلقاً جديداً، ونقلهم من الظلمات إلى النور [٣٥] .

وينضم إلى الركب الدكتور محمود علي مكي، فيقول :(وإنه لتبدو من المعجزات قدرة الرسول صلى الله عليه وسلم على تحويل هذا المجتمع البدوي الذي كانت تمزقه العصبيات القبيلة إلى (أمة) موحدة واعية بمكانها من التاريخ وبرسالتها التي قُدر لها أن تغير مسار البشرية، كل ذلك في عشر سنوات فحسب،وهي حقبة لا تكاد تعد في تاريخ الأمم [٣٦] .

ويختم لويس سيديو الشهادة بإعجاز النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في بعث أمة العرب، فيقول : (لقد حل الوقت الذي توجه فيه الأنظار إلى تاريخ تلك الأمة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من آسية فارتقت إلى أعلى مقام فطبق اسمها آفاق الدنيا مدة سبعة قرون،ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد،هو (محمد) [٣٧] .

وخلاصة القول إن هذا الأمي المتحنث القابع في أعماق غار يطل على بطائح مكة،برسالة ملأت شعاب الأرض حوله وحول كل المدارات حتى بلغت القارات والقلوب،وعلم

البشرية ومازال يعلمها،ليصبح في كل صبيحة تؤكدها الأجيال أن أميته صلى الله عليه وسلم معجزة متجددة تبهر العقول وستبهرها في قابل الأيام .

ثانيًا– تفسير كلمة إقرأ :

أشار القرآن الكريم إلى كلمة (إقرأ) في قوله تعالى: ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾. (العلق:١) ، وقرأ الكتاب تتبع مافيه وقرأ الآية نطق بها [٣٨] . وأقرأ اسم تفضيل من قرأ أي أجود [٣٩] . واستقرأه،طلب منه أن يقرأ . والقَراء الحسن القراءة .

وبعد هذا فإن فعل (إقرأ) في أول سورة العلق لم يكن المراد به الأمر بالتبليغ، فلو كان دالاً على التبليغ فيجب أن يأتي من (أقرأ – يقرئ – أُقرئ) ، وذلك بإيراد همزة التعدية نقول أقرأ فلاناً السلام، وأقرأه إياه أي بلغه، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً: يا عائشُ هذا جبريل يقرأُ عليك السلام) [٤٠] .

ثالثاً– القرآن يتحدث عن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أشار القرآن الكريم في مواضع عديدة تضمنت الحديث عن هذه المعجزة الشريفة، ألا وهي معجزة الأمية التي خص الله بها نبيها الكريم، واختلفت الأقوال وتضاربت حول هذه الخاصية ، وغاية الذين يقولون إنه يكتب ويقرأ أن يقولوا إنه تعلم من الأحبار، وهناك من يقول إن ورقة بن نوفل علمه القراءة والكتابة، وورقة بن نوفل هو خال خديجة رضي الله عنها، هذه مشكلة خاض فيها كثيرون، وهناك كتب جرى تأليفها... والخلاصة هو أمي وفق كلام الله تعالى .كما أن صفة الأمية التى تحلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم،أكرم بها من صفة،لأنها تُمثل قمة الإعجاز المعنوي والعقلي لهذا الرسول الكريم .

ومن بين هذه المواضع التي تُثبت أمية رسول الله ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ **هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ** ﴾ (الجمعة :٢) حيث قال ابن عباس : (كان نبيكم أمياً لا يكتب ولا يقرأ ولا يحسد) [٤١] وفي آية أخرى جاء قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ (العنكوت:٤٨) .

ويعلق الزمخشري على هذه الآية قائلاً : وأنت أمي ماعرفك أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط . (إذاً لو كان شيء من ذلك ، أي من التلاوة والخط لارتاب المبطلون من أهل الكتاب) ، وقالوا : الذي نجده في كتبنا أمي لايكتب ولايقرأ [٤٢] .

ولقد اعترف مشركو قريش قديماً أن هذا القرآن المعجز لا يمكن أن يتأتى لرجل أمي لا يعرف القراءة ولا الكتابة فادعوا أن ذلك سحر يؤثر(٤٣). كما أدرك ذلك – أيضا– عداس ذلك الفتى النصراني الذي أرسله ابنا ربيعة إلى رسول الله من الطائف مصحوباً بقطف (*) من العنب ، بعدما لجأ إلى حائطئهما ورسول الله عائد حزيناً على عدم إيمان أهلها،فقام عداس وأقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله فمد يده وقال :(بسم الله) ثم أكل ، فنظر عداس إلى وجه ، ثم قال له : والله أن هذا الكلام مايقوله أهل المدينة ، فقال له رسول الله : من أي البلاد أنت ؟ وما دينك فقال عداس أنا نصراني ، وأنا رجل من أهل نينوة (*) فقال له رسول الله : من قرية الرجل الصالح يونس ابن متى ؟ فقال له عداس : ومايدركنا يونس ابن متى ؟! والله لقد خرجت من نينوة ومافيها عشرة يعرفون متى ، من أين عرفت أنت متى ؟ هو أخي ، كان نبياً وأنا نبي، وأنت أمي وفي أمة أمية ؟! فأكب يقبل رأسه ويديه ورجليه ، فلما رجع عداس قال ابنا ربيعة : ويلك يا عداس ! مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه ورجليه ؟! فقال : ياسيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل ، لقد خبرني بأمر لا يعلمه الإ نبي (٤٤).

هكذا كانت أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم دليلا من أدلة صدقه ونبوته .

رابعاً– الكتابة في صدر الاسلام :

يعد القرآن الكريم أول كتاب لدى العرب أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فى ثلاث وعشرين سنة عن طريق التواتر، وقد دونه أبو بكر الصديق –رضى الله عنه– فى مصحف واحد ثم دونه عثمان –رضى الله عنه– فى مصحفه المشهور وأرسل منه نسخاً إلى الأمصار. وكان أول ما نزل من الوحى لفظ "إقرأ" وفى هذا خير دليل على تمجيد العلم والدعوة إليه: ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ**﴾ (القلم: ١) لهذا دعا الرسول الكريم إلى تعلم الكتابة، حتى إنه بعد غزوة بدر –كما يروى الفضل بن دكين عن جابر عن عامر قال: « أسر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين أسيراً، وكان يفادى بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دُفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلمهم، فإذا حذقوا فهو فداؤه»(٤٥).

ولم تكن الكتابة مقتصرة على الرجال فقط ؛ بل كان هناك نساء أيضًا يجدن الكتابة وهن : « شفاء بنت عبد العدوية من رهط عمر بن الخطاب ، وحفصة بنت عمر زوج النبي صلى الله عليه وسلم تعملت الكتابة من شفاء العدوية ، وأم كلثوم بنت عقبة ، وفروة بنت عائشة بنت

سعد ، وكريمة بنت المقداد . وكانت عائشة بنت أبي بكر زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقرأ المصحف ولا تكتب وكذلك أم سلمة »(*).

ومن شدة حرصه صلى الله عليه وسلم على التعلم أنه كان يدعو إلى تعليم اللغات الأجنبية كما فعل مع زيد بن ثابت حين قال له: «تعلم لغة يهود، فإنى ما آمنهم على كتابى»(٤٦).

وفى حديث آخر عن زيد بن ثابت قال: «قال لى النبى صلى الله عليه وسلم: إنى أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا عليّ أو ينقصوا، فتعلم السريانية فتعلمتها فى سبعة عشر يوماً».

أما ما يدور حول أمية الرسول صلى الله عليه وسلم فقد خاض فيها الباحثون وذهبوا فيها مذاهب شتى، واختلفت وجهات نظرهم حول هذه الأمية بين مؤيد ومعارض،وهذا مايدفعنا إلى النظر في هذه المسألة،ومهما تعددت وجهات النظر حول هذه القضية،فالذي لايدعو مجالاً للشك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أمياً، وأكبر دليل على ذلك أنه أتخذ كتبة للوحي.

وكان أول من كتب ما ينزل من الوحى فى المدينة أبى بن كعب الأنصارى وزيد بن ثابت الأنصارى ثم توالى على كتابته عدد غير قليل من الصحابة منهم: عثمان بن عفان وأبان بن سعيد ... ومعاوية بن أبى سفيان ثم حنظلة بن الربيع الذى عرف من أجل ذلك بحنظلة الكاتب(٤٧).

وثمة من يرى أن الرسول عليه السلام كان أميّاً لم يقرأ ولم يكتب واستدلوا على ذلك بحديثه صلى الله عليه وسلم: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، وبقية الحديث: «إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا. أى لا نفتقر فى عبادتنا ومواقيتنا إلى كتاب ولا حساب»(٤٨). وهو يعنى الهلال أى هلال الصيام.

وهذا ما يوضحه الحديث الذى يرويه أبو هريرة حين قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كم مضى من الشهر؟) قال قلنا: اثنان وعشرون يوماً، وبقى ثمان. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الشهر هكذا أو الشهر هكذا والشهر هكذا) ثلاث مرات وأمسك بواحدة». وهذا أيضاً ما يرويه محمد بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه رضى الله عنهما(٤٩).

ومن المرجح أن النبى كان يقرأ ويكتب حيث ورد فى القرآن الكريم آيات تدل على ذلك منها قوله تعالى: ﴿ **وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ** ﴾ (العنكبوت: ٤٨).

فهذه الآية فيها دلالة على أنه كان يقرأ ويكتب.

وإن كان أمية الرسول هي الأقوى،ويستنتج من الآية أنه أمي، وليس قارئاً،ومن قبله،لاتعني أن تعلم من بعده.

وقد تعرض (الألوسى) فى تفسيره لهذه الآية فقال: «واختلف فى أنه صلى الله عليه وسلم، أكان بعد النبوة يقرأ ويكتب أم لا؟ فقيل: إنه عليه الصلاة والسلام لم يكن يحسن الكتابة ... وادعى بعضهم إنه ... صار يعلم الكتابة بعد أن كان لا يعلمها، وعدم معرفتها بسبب المعجزة لهذه الآية، فلما نزل القرآن واشتهر الإسلام وظهر أمر الارتياب تعرف الكتابة حينئذ، وروى ابن أبى شيبة وغيره: ما مات صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ. وروى ابن ماجة عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رأيت ليلة أسرى بى مكتوباً على الجنة: الصدقة بعشر أمثالها والقَرْض بثمانية عشر»[٥٠].

ولا يستدل من هذا الحديث على أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ويكتب في الدنيا،تلك في الجنة كتابة أخرى وقراءة أخرى ليست مثل كتابتنا ولا مثل قراءتنا .

وقد حكى أبو جعفر النحاس أن المأمون قد عاب على أبى العلاء المنقّرىّ بأنه أمّى، وأنه لا يقيم الشعر وأنه يلحن فى الكلام وتعلل أبو العلاء بأن الرسول عليه السلام كان أمياً وهو لا ينشد الشعر. فقال له المأمون: «الأمية فى رسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة وفى أمثالك نقيصة»[٥١].

ومما روى أيضاً فى صلح الحديبية أنه صلى الله عليه وسلم «هو الذى كتب الكتاب بيده الشريفة»[٥٢].

ومن المعلوم أن كتابة ذلك العهد كانت تخلو من النقط والتشكيل والإعجام. ويقال: «إن أول من نقط المصاحف ووضع العربية أبو الأسود الدؤلى من تلقين أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه»[٥٣].

ولم تكن أدوات الكتابة متوفرة وميسرة لدى العرب نظراً لغلاء ثمنها وصعوبة امتلاكها، لهذا كانوا يكتبون على الرقاق والجلود وورق البردى وغيرها.

هذا فيما يخص القرآن الكريم، أما الحديث النبوى فقد كان الطابع الغالب عليه هو الرواية الشفوية التى تعتمد على صدق الراوى قبل التوثيق. وقد تصدى جماعة لتدوينه يأتى فى مقدمتهم (ابن هشام الزهرى) المتوفى سنة ١٢٤هـ.

ومن بين المصنفات التى كانت تنقل بالرواية أكثر مما كانت تنقل عن طريق التدوين (تاريخ الطبرى) وكتاب (الموطأ) فى الفقه والحديث للإمام مالك بن أنس.

وهذا يدفعنا إلى التساؤل عن تاريخ الكتابة العربية أو ما أقدم كتابة فى الإسلام؟

لعل أقدم كتابة إسلامية وصلت إلينا ما وجد مكتوباً «على قبر رجل يدعى عبد الرحمن بن خير، وعثر عليه فى الفسطاط ويعود تاريخه إلى ٣١ هجرية (= ٦٥٢م). وهو موجود فى متحف الآثار المصرية بالقاهرة»(٥٤).

هذا ما ذهب إليه الدكتور الطاهر أحمد مكى.

أما الدكتور ناصر الدين الأسد فيذهب إلى القول بأن الدكتور محمد حميد الله «عثر على عدة نقوش على قمة الطرف الجنوبى لجبل سلع فى المدينة المنورة خارج سورها الشمالى، ويرجح الدكتور حميد الله –أن هذه النقوش ترجع فى تاريخها إلى غزوة الخندق فى السنة الخامسة للهجرة»(٥٥).

مميزات الكتابة فى صدر الإسلام:

اشتملت الكتابة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على شيئين اثنين أولهما كتابة الوحى وهو بالدرجة الأولى، والآخر تدوين الرسائل التى كان الرسول يأمر بكتابتها ويبعث بها إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام.

وكذلك كتابة العهود والمعاهدات التى كانت تبرم بين الرسول وكفار قريش كما جرى فى صلح الحديبية(٥٦)، وإلى مثل هذا المعنى ذهب الدكتور شوقى ضيف حين قال: «وكان الرسول عليه السلام يكتب كثيراً من عهود الأمان ومن المعاهدات»(٥٧).

ومن الملاحظ أن أسلوب الكتابة فى ذلك العصر كان فطرياً يأتى من غير تكلف أو صنعة، وعليه فقد امتازت الكتابة بما يأتى :

١ – جاءت عباراتها مقتضبة قليلة فى نصها عميقة فى معناها تعبر عن الغرض الذى كتبت من أجله دون إطالة أو زخرفة أسلوب أو ديباجة منمقة، بل يكاد يغلب عليها الأسلوب العلمى المتأدب إذا صح التعبير.

وإذا ما نظرنا إلى صفات الكتابة فى صدر الإسلام أى فى زمن الرسول وخلفائه الراشدين نجدها لا نختلف كثيراً عن الكتابة فى الجاهلية لاسيما من حيث الحروف فالتى كانت فى الجاهلية هى نفسها فى صدر العصر الذى تلا ذلك إلا أنها أصبحت أكثر تطوراً ووضوحاً(٥٨).

وخير ما يمثل ذلك رسائل الرسول عليه الصلاة والسلام وقد كان فى أول الأمر يفتتح كتبه بـ"باسمك اللهم". كما روى عن الشعبى: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب أربعة

كتب فى الأول باسمك اللهم، فنزلت هود وفيها ﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا**﴾، وكتب فى الثانى: "بسم الله" فنزلت بنو إسرائيل وفيها ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾، فكتب فى الثالث (بسم الله الرحمن)، ثم نزلة سورة النمل وفيها: ﴿ **إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ فكتب فى الرابع (بسم الله الرحمن الرحيم)[٥٩].

ولما كان الملوك والرؤساء لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً، «فاتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم، يومئذ خاتماً من فضة فصُّه منه، نقشه ثلاثة أسطر: محمد رسول الله، وختم به الكتب»[٦٠].

ومن بين الرسائل التى بعث بها إلى الملوك والرؤساء نأخذ رسالتين الأولى بعث بها إلى النجاشى ملك الحبشة والأخرى إلى مسيلمة الكذاب لعنه الله. وهذا نص الرسالة الأولى: «بسم الله الرحمن الرحيم. من محمد رسول الله إلى النجاشى عظيم الحبشة. سلام عليك. أما بعد، فإنى أحمد عليك الله الذى لا إله إلا هو، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده، وإنى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة والطاعة، وأن تتبعنى وتؤمن بى وبالذى جاءنى فإنى رسول الله، وإنى أدعوك، وجنودك إلى الله عز وجل، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى، والسلام على من اتبع الهدى»[٦١].

وقد وقع هذا الكتاب فى قلب النجاشى فأثلج صدره، «فأخذه ووضعه على عينيه ونزل من سريره فجلس على الأرض تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق، وقال: لو كنت أستطيع أن آتيه لأتيته»[٦٢].

إنه لا ينبغى لأى قارئ لهذه الرسالة أن يمر عليها مروراً عابراً بقدر ما هى تحتاج إليه من وقفة تأمل وتدبر، لأنها صادرة من رسول البيان وسيد البلغاء وإمام المتمدنين. وقد جاء هذا الخطاب فى أسلوب رائع بليغ، وكأنى بالرسول الكريم يضع يده على الوتر الحساس فى قلب النجاشى حينما ركز فى خطابه على ذكر السيدة مريم –رضى الله عنها– ولا يخفى على الرسول مدى توقير النجاشى وحبه لها؛ لأنها ولدت نبيّاً كريماً وكانت مصدراً للإلهام الإلهى[٦٣].

ولما كان النجاشى نصرانياً إذن من باب أولى أن يخاطبه الرسول بالآيات القرآنية المتعلقة بالمسيح عليه السلام، وهذا أسلم طريق وأفضله للتأثير على قلب النجاشى وهذا ما تم تحقيقه[٦٤].

ونجد من بين الباحثين من يعلق على هذه الرسالة وهو يعزو السبب إلى خلوها من البسملة وأنها لا تحمل ختم الرسول: (محمد رسول الله) بالإضافة إلى ما جاء فيها من أخطاء إملائية ونحوية وهؤلاء يرون أن نسبتها للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام أمر فيه شك هذا من جانب، ومن جانب آخر وجود هذه الرسائل عند أعداء المسلمين الذين لم يستجيبوا لدعوة الإسلام أول الأمر[٦٥]. وربما فيها بسملة،وليست فيها أخطاء نحوية،أما الكتابة في ذلك العهد إملائية فتختلف عن كتابتنا الآن وليس فيها أخطاء .

إلا أننا نجد فى مباحث أخرى أن رسائل الرسول عليه السلام التى بعث بها إلى العديد من الملوك والرؤساء قد بدأت بالبسملة والتى من بينها رسالته إلى النجاشى وإلى هرقل ملك الروم وإلى كسرى عظيم فارس، ولعل رسالته التى لم تبدأ بالبسملة تلك التى بعث بها إلى أهل نجران حيث بدأها «باسم إله إبراهيم، وإسحاق ويعقوب. وكانت هذه البداية قبل أن ينزل عليه: (طس سليمان)[٦٦].

وبعث مسيلمة الكذاب برسالة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يخبره فيها بأنه نبى مثله وبأن الأرض نصفان نصفها له ونصفها لمحمد ويذكر أن قريشاً قوم لا يعدلون ... فكتب إليه رسول الله يدعوه إلى الإسلام وقال: العنوه، لعنه الله وهذا نص كتاب الرسول إليه «بلغنى كتابك الكذب والافتراء على الله، وإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين والسلام على من اتبع الهدى»[٦٧]، كما بعث بكتاب إلى هرقل قيصر الروم وإلى المنذر بن ساوى ملك البحرين وإلى المقوقس أمير مصر من قبل هرقل وإلى كسرى ملك الفرس.

ويرى كثير من المستشرقين أنه عثر على الأصول الحقيقية لهذه الرسائل فى العديد من النقوش.

وهذا أمر ليس فى مقدورنا أن نأخذ به مأخذ التسليم ، لأنه ليس بين أيدينا دليل قاطع ورأى جازم نستطيع أن نؤكد به مدى صحة أن هذه النقوش الخاصة بالرسائل لها أصول تدل على كتابتها، أو بمعنى آخر أن لها نماذج أصلية مازالت موجودة يمكن الرجوع إليها والاطمئنان على صحة أخبارها، ومن المحتمل أن ما يقرره بعض المستشرقين مجرد احتمال ووجهة نظر، ولو كان بين أيدينا ما ندل به على صحة هذا الرأى لسلمنا بالأمر وأيدناهم فيما يزعمون. ومن ثم فإن حكمهم هذا ليس إلا مجرد احتمال وظن وتخمين، وهذا مما لا تبنى عليه الأحكام.

٢ – كما امتازت هذه الكتابة خلوها من مظاهر التفخيم وألفاظ التعظيم، كما يلاحظ فيها أن الضمائر كانت تستعمل على حقيقتها، فالمفرد للمفرد والمثنى للمثنى والجمع للجمع وهكذا ...

٣ – السهولة والبساطة وعدم الإغراب والقصد إلى المعنى من أقرب سبيل ومن غير مبالغة أو تهويل.

٤ – الميل إلى الإيجاز وعدم الإطالة إلا حين يستدعى الكلام طولاً، كما لاحظناه فى رسائل الرسول عليه السلام.

وقد سار خلفاؤه على النمط نفسه، كما جاء فى كتاب خالد بن الوليد إلى أهل فارس يدعوهم إلى الإسلام. والكتاب الذى ينسب إلى عمرو بن العاص والذى بعث به إلى عمر يصف فيه مصر والذى جاء فيه: «مصر تربة غبراء وشجرة خضراء، طولها شهر وعرضها عشر»[٦٨]. فهم انتهجوا فى كتاباتهم نهج رسولهم وتقيدوا بطريقته منهجاً وطريقة وأسلوباً.

٥ – تمتاز الكتابة بكثرة الاستشهاد بالقرآن الكريم وقد يستشهد فيها بالشعر وإن كان ذلك لا يأتى إلا بمقدار.

خامساً– التدوين وتطور الكتابة:

أخذ التدوين أدواراً فى الجاهلية ثم تطور بعد الفتوح الإسلامية، هذا التطور الذى سنعرض له عند حديثنا عن تطور الكتابة، وتعدد الرسائل السياسية أهم ما دون منذ الخلفاء الراشدين إلى نهاية عصر بنى أمية. ومعروف أن الخليفة عمر بن الخطاب أول من دون الدواوين، وقد تأخرت حركة التدوين عند العرب حتى أوائل العصر العباسى حين عرف العرب صناعة الورق الصينى حيث أقاموا له مصنعاً فى بغداد لعهد الرشيد فانتشر الورق ورخص ثمنه، وبذلك ازدهرت حركة التدوين، كما ساعدت الفتوحات العربية «على سرعة عملية التعريب ووسعت من نطاق استخدام الكتابة العربية»[٦٩]. ولم تقتصر الإدارة العربية على المسلمين وحدهم، بل شملت حتى النصارى كما فعل معاوية بن أبى سفيان عندما استعان ببعض منهم ومن بينهم "سرجون" ابن منصور وابنه "منصور" «وهم من نصارى بلاد الشام، وكانوا على ديوان العطاء ...»[٧٠]. وعندما توغل العرب في الحضارة أصبحت الكتابة تزداد رقياً وازدهاراً، حيث «أخذوا يستعيرون كثيراً من النظم الأجنبية ومواد الثقافات لدى الأمم المفتوحة»[٧١].

وجاء هذا واضحاً لاسيما فى عصر بنى أمية. أما ما شهدته الرسائل السياسية من نهضة وتقدم فقد تم على أيدى أهل الفصاحة والبيان لهذا العصر من أمثال زياد والحجاج وقطرى بن الفجاءة ومن على شاكلتهم(٧٢).

٢- تطور الكتابة:

حتى نتبين كيف تطورت الكتابة لابد لنا من الوقوف على جانبين هامين هما: عصر التأليف وأهمية الكتاب.

أ- عصر التأليف:

بدأ التأليف منذ عهد الصحابة الكرام والتابعين بالرغم من أن حاجى خليفة يذكر بأن هناك اختلافاً «فى أول من صنف فى الإسلام، فقيل الإمام عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج البصرى (ت ١٥٥هـ)، وقيل أبو نصر بن أبى عروبة (ت ١٥٦هـ)، وقيل ربيع بن صبيح (ت ١٦٠هـ)»(٧٣). وذكر ابن النديم أنه رأى فى مدينة الحديثة قرب الأنبار فى العراق خزانة للكتب فيها بخطوط الأئمة من آل الحسن وآل الحسين، وأمانات وعهوداً بخط أمير المؤمنين علىّ وبخط غيره من كتّاب النبى صلى الله عليه وسلم ومن خطوط العلماء فى النحو واللغة مثل أبى عمرو بن العلاء وأبى عمرو الشيبانى والأصمعى وابن الأعرابى وسيبويه والفراء والكسائى، ومن خطوط أصحاب الحديث، مثل: سفيان بن عيينة وسفيان الثورى والأوزاعى وغيرهم(٧٤). كما يرى ابن النديم «أنه كان فى خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم جد الرسول عليه السلام، وهو فى جلد من أدم فيه ذِكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة»(٧٥).

ب- أهمية الكتاب وتقدير العلماء:

للكتاب أهميته البالغة ومكانته القصوى فى تاريخ البشرية، فهو خير جليس يستمتع به القارئ والسامع على حد سواء وهو الذى تعم به الفائدة ويتحقق به الأمل .. وبعد أن اتسعت الفتوحات الإسلامية فى البلاد المختلفة ووجد المسلمون الكثير من الكتب فى البلاد المفتوحة تهتم بها فحافظوا عليها وقاموا بترجمتها، فكان لهذه الترجمة دورها الفعال الذى أسعف عصر التأليف وزاده انتشاراً حيث ترجمت العديد من الكتب فى مختلف العلوم مثل "الكيمياء" التى ترجمت فيها بعض الكتب بطلب من خالد بن يزيد بن معاوية، كما ترجم كتيّب فى الطب بأمر من عمر بن عبد العزيز(٧٦).

ثم نشطت حركة الترجمة فى الدولة العباسية واهتم الخلفاء العباسيون بالكتب اهتماماً بالغاً. يقول القلقشندى: «كان للخلفاء والملوك فى القديم مزيد اهتمام وكمال اعتناء حتى حصلوا منها على العدد الجم، وحصلوا على الخزائن الجليلة»(٧٧).

وقد عرف عن علماء المسلمين عنايتهم بالكتب والبحث عنها أينما كانت وفى أى مكان وجدت ومن شدة شغفهم بها ما رواه "القنطرى" فى كتابه (الفخرى) أن «أحد الأمراء أرسل فى طلب أحد العلماء فلما جاء الرسول إلى المعلم قال: إن الخليفة يدعوك للحضور بين يديه الساعة. فقال له العالم: إن عندى قوماً من الحكماء أحادثهم فإن انتهيت حضرت». فقال الخليفة: من هؤلاء الذين يشغلونه بالحضور إلى؟ فأمر به فأحضر، فلما سأله قال: والله يا أمير المؤمنين:

لنا جلساء لا نمل حديثهم أمينون مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما معنى ورأيا وتأديباً وأمرا مسددا
بلا علة تخشى ولا خوف ريبة ولا نتقى منهم بناناً ولا يدا
فإن قلت أموات فلم تعد أمرهم وإن قلت أحياء فلست مفندا(٧٨)

فعرف الأمير أنه كان يطالع الكتب فأعجب برده وأكرمه.

ولعل أشهر من أحب الكتب ودافع عنها ومدحها وأطنب ونفقت سوقها عنده الأديب الكبير الجاحظ فقد أحبها حباً جمّاً لا يعدله حب وتغزل بها أكثر من تغزل ابن زيدون بولادة كتبه تنضح بهذا الحب حيث يقول الجاحظ فى كتابه الحيوان: «الكتاب هو الجليس الذى لا يطريك والصديق الذى لا يعزيك والرفيق الذى لا يَمُلُّك ... والصاحب الذى لا يعاملك بالمكر ولا يخدعك بالنفاق ولا يحتال لك بالكذب. والكتاب هو الذى إن نظرت فيه أطال متاعك وشحذ طباعك وبسط لسانك وجود بنانك وفخم ألفاظك ... ومنحك تعظيم العوام وصداقة الملوك»(٧٩).

لا نعتقد أن كاتباً وصف الكتاب بأبلغ من هذا الوصف ولا دافع عنه بأحر من هذا الدفاع ولا بين محاسنه ومزاياه بمثل هذه القوة.

ومن شدة حرص الأوائل على الكتب واهتمامهم بها أنهم وقفوها على بعض المكتبات والمساجد حتى لا تتعرض للتلف والضياع.

فقد ذكر ياقوت الحموى فى معجمه أنه فارق مدينة (قرُو) «وفيها عشر خزائن لم أر فى الدنيا مثلها كثرة وجودة ... وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلى منها مائتا مجلد وأكثر بغير رهن تكون قيمتها مائتى دينار، فكنت أرتع فيها وأقتبس من فوائدها وأنسانى حبها كل بلد وألهانى من الأهل والولد»[٨٠]. وفى هذا دليل كاف على اهتمام الأقدمين بالكتب والشغف بحبها والانكباب عليها والاستفادة منها بكل حرص وعناية.

وقد قيل لسقراط: أما تخاف على عينيك من إدامة النظر فى الكتب؟ فقال: إذا سلمت البصيرة لم أحفل بسقام البصر»[٨١].

ومن شدة الحرص على الكتاب أننا نجد العديد من الوراقين الذين خصصوا حياتهم لنسخ الكتب بأيديهم وبذلوا فى ذلك جهداً ووقتاً، وقد «عرف الناس عند وفاة أحد العلماء أنه ترك (٦٠٠) صندوق متخم بالكتب فى كل فروع العلم»[٨٢].

وهناك فريق آخر من الناس سموا بالدلالين كانوا يجوبون المدن ويزورون كل تاجر بحثاً عن الكتب النادرة ليقوموا بشرائها والاطلاع «على آخر ما أنتجه الفكر العربى تأليفاً وترجمة، فكانوا بذلك همزة الوصل بين تجارة الكتب فى العالم العربى»[٨٣].

وكان لأهمية الكتاب فضل واسع ساعد على انتشار العديد من المكتبات فى مختلف البلدان مثل إنشاء دار الحكمة الشهيرة فى بغداد كما أنشأ عبد الرحمن الداخل مكتبة قرطبة وأسس أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى الفقيه الشافعى (ت ٣٢٣هـ = ٩٣٥م) داراً للعلوم فى بلده تحتوى على خزانة كتب فى جميع العلوم وكانت كعبة للقصاد ورواد العلم[٨٤].

لكن الشىء المؤسف أن العديد من دور المعرفة وما تحويه من مكتبات شهيرة لم يكتب لها البقاء، حيث تعرضت للتلف والهلاك والدمار كما فعل هولاكو عندما اقتحم مدينة بغداد عام (٦٥٦هـ= ١٢٥٨م) فألقيت العديد من المخطوطات النفيسة فى نهر دجلة والفرات. وما مكتبة جامعة الجزائر عنا ببعيدة حين قام الغزاة الفرنسيون الغاشمون بحرقها عام ١٩٦٢م. على الرغم من مقاومة الشعب الجزائرى البطل لهم حتى القضاء عليهم[٨٥].

ولم يكن تشجيع العلماء ومكافأتهم على مجهوداتهم أقل حظّاً من أهمية الكتابة والعناية بالكتاب وانتشار المكتبات بل كان لهم قدر ومنزلة وعلو مكانة والأمثلة على ذلك كثيرة لا حصر لها من بينها أنه «لما شفى سلطان بخارى، محمد المنصور من مرضه العضال على يد ابن سينا، وهو بعد فتى لم يتجاوز الثامنة عشرة، كافأه السلطان على ذلك بأن سمح له أن يختار من مكتبة قصره ما يحتاج إليه من الكتب لدراسته، ... ويكتب ابن سينا عن ذلك الحديث يقول: «ولم يكد

ابن سينا يغادر قصر السلطان حتى اشتعلت النار فيه فقضت على هذه الكنوز العلمية؛ وتهامس أعداؤه وحساده قائلين: «إنه هو الذى أشعل النار فيها بعدما قرأها ليدّعى، فيما بعد، أن ما عنده من علم إنما هو من أبحاثه»(٨٦).

وإن كان لنا من تعقيب أو تعليق على هذا الكلام فنحن نستنكر على هؤلاء ما يزعمون، وما ذهبوا إليه، فلعلها فرية اختلقها هؤلاء الحساد، وهذه آفة العلم دائماً وما يجره على أصحابه من زعم وافتراء. فابن سينا وما أدراك من هو، وهو شيخ المعرفة والعلم والحكمة وأحد أعلام الفلسفة فى المشرق والمغرب .. كيف يليق به أن يقدم على عمل كهذا؟! والذين جاءوا بهذا القول لم يعطونا الدليل القاطع ليبرهنوا على صحة دعواهم وإنما هو ضرب من الظن والتخمين والاحتمال ومثل هذه الأمور لا يجب التسليم بها ولا التصديق بصحتها لبعدها عن الحقيقة والصواب.

ولا يفوتنا هنا –ونحن بصدد الحديث عن الكتابة وتشجيع الأمراء لأربابها– أن نعرج على ذكر إمامها ورائدها وشيخها ونبراسها "عبد الحميد الكاتب" (ت: ٧٥٠م)، وهو من أعلام الكُتّاب في القرن الثاني الهجري، الفارسيّ الأصل، العربي ولاءً، الذي كلما ذكرت الكتابة يشار إليه بالبنان، ويتذكّره الخاص والعام، فهو الذي فتّق رموز الكتابة وأرسى دعائمها، وراعى أصولها وحفر بصماتها، وترك لمن لحق به أنموذجًا يحتذى به في هذا المجال .. ومن ثم حظي بعلو المنزلة والمكانة من الباحثين القدامى؛ فها هو يطل علينا أحد البارزين منهم، وهو الثعالبي (ت:٤٢٩هـ) الذي عرج على ذكر عبد الحميد الكاتب. –فأنصفه وشهد له بالسبق في هذا الميدان دون منازع، حيث نقل إلينا نصائحه وما أوصى به الكتّاب من الشهرة في الكتابة وحسن مجال الخط.

يقول الثعالبي: «إن عبد الحميد أول مننهج طُرق الكتابة، وبسط من باع البلاغة، وشَنَّفَ الرسائل وقرّظها، ولخّص فصولها وخلّصها. وكان مروان بن محمد يستكتبه ويكرمه ويقدمه، ولا يرى الدنيا إلا به»(٨٧).

ثم ينقل لنا الثعالبي ما أوصى به عبد الحميد الذي يقول: «أكرموا الكتّاب فإن الله تعلى أجرى أرزاق الخلق على أيديهم، وكان يقول: إن كان الوحي يُنزّل على أحد بعد الأنبياء فعلى بلغاء الكتّاب، ومن غُرر كلامه: العمل شجرة، ثمرها الألفاظ، والفكر بحر لؤلؤه الكلمة. ويُروى أنه مرّ بإبراهيم بن جبلة وهو يكتب خطّاً رديئًا، فقال: أتحب أن يجود خطّك؟ قال: نعم، قال: أَطِلْ جِلْفَةَ(*) قلمك وأَسْحِنْها، وحَرِّفْ قِطَّتك وأَيْمِنْها، قال: ففعلت ذلك فجاد خطّي»(٨٨).

سادساً– فضل العرب على الغرب:

يزعم بعض المستشرقين أن العرب استعاروا كتاباتهم من الأجانب سواء من الفرس أو من غيرهم كاليونان، وهذا زعم فيه شيء من المبالغة أو نكران فضل العرب.. فهم أهل حضارة بكل ما تحمله هذه الفكرة من معنى، وهم الذين سبقوا غيرهم من علماء العصر الحديث. ونحن لا نستطيع –فى هذه الإلمامة السريعة– أن نلم بجهود علمائنا الذين كانت لهم اليد الطولى والقدم الراسخة فى ميدان التفكير العلمى الصحيح. والشواهد على ذلك كثيرة إلا أننا سنشير إلى أهمها. فكثيراً ما كان طلاب العلم الأوربيون يسافرون إلى البلاد العربية يتعلمون لغتنا، ويدرسون فى جامعاتنا حيث «كان لعلمائنا قصب السبق فى التوصل إلى العديد من الاكتشافات والنظريات العملية التى ينسب بعضها ظلماً وزوراً إلى علماء غربيين. فهذا عبد الرحمن المصرى (ت ٣٩٩هـ= ١٠٠٩م) يكتشف رقاص الساعة (البندول)، ومع ذلك فإن هذا الاكتشاف ينسب إلى غاليلو الإيطالى المتوفى سنة ١٩٢٤م، أى بعد المصرى بما يزيد على ستمائة سنة. وها هو الطبيب المصرى ابن النفيس (ت ٦٨٧هـ= ١٢٨٨م) يكتشف الدورة الدموية الصغرى»[٨٩]. وظن الغرب أن مكتشفها هو العالم الإنجليزى "وليم هارفى" المتوفى سنة ١٦٥٧.

ولم يقف بهم الأمر عند هذا الحد بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك كما يرى الدكتور تمام حسان من أنه يوجد «من بين غلاة المستشرقين الذين يتلمسون فى ثقافة العرب ما يرجون أن يردوه لأدنى شبه إلى ثقافة الإغريق أو الرومان»[٩٠].

ويأتى فى طليعة المستشرقين (نيكلسون) صاحب كتاب (الصوفية فى الإسلام)، والذى استغرق فى تأليفه عشرين عاماً والذى ألقى بنفسه فى بحر لجى متلاطم الأمواج وذلك بما ارتكبه من أخطاء وقع فيها .. وقد تصدى له الدكتور (أحمد الشرباصى) ورد عليه فى كتاب بعنوان: (التصوف عند المستشرقين)، وعيب على ما ذهب إليه هذا المستشرق «من أن الصوفية الإسلامية قد تكونت من تأثيرات خارجية غير إسلامية هى المسيحية الأفلاطونية والبوذية، كما عاب عليه إساءته إلى القرآن الكريم، ووصفه العبادات الإسلامية بأنها (رسوم ظاهرة) موهماً بذلك أنها لا تؤثر فى النفس ...»[٩١].

إلا أن الدكتور الشرباصى نجده بعد ذلك لا يهضم حق هذا المستشرق بل ينصفه بما يستحق حيث يستطرد قائلاً: «وقد يكون الدكتور نيكلسون أقل من غيره من المستشرقين فى باب الخطأ أو لكيد للإسلام. وقد عنى نيكلسون بالدراسات الصوفية عناية ملحوظة، فألف فيها، وأخرج كثيراً من كتب التصوف المشهورة»[٩٢].

ونحن نضم صوتنافى هذا الجانب إلى الدكتور الشرباصى، فلا ننكر فضل كثير من المستشرقين على الثقافة العربية فهم أسهموا بنصيب وافر فى هذا المجال وأثروا المكتبات العربية لاسيما بعد ترجمة العديد من مصنفاتهم إلى العربية.

وخير دليل على ذلك أنهم «هم الذين كشفوا لنا عظمة ابن خلدون وما فى مقدمته من نظريات اجتماعية سبق بها العلماء الذين ينسب إليهم الغربيون وضع الأسس الأولى فى علم الاجتماع»[٩٣].

هذا بالإضافة إلى كتب العرب، وخاصة ما ترجم منها من كتب علمية تعد مصدراً وحيداً تقريباً اعتمدت عليها جامعات أوربا فى التدريس مدة تزيد على خمسة قرون[٩٤].

وهذا كلام صحيح لا يخفى على أحد فإن كثيراً من دراساتنا اليوم نرجع فيها إلى جهود العلماء الغربيين والاحتقاب من مصنفاتهم مثل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم لمؤلفه الألمانى (فلوجل) والذى وضعه محمد فؤاد عبد الباقى. وكذلك المعجم المفهرس لألفاظ الحديث للمستشرق الفرنسى (فينسك) وآخرين والموسوعة الإسلامية وغيرها.

ولكن مهما بلغ الأمر ذروته فهم انتهزوا فرصة غزوهم لبلاد العرب والإسلام سياسياً وعسكرياً واقتصاديّاً، حيث استغل المستشرقون منهم هذه الفرصة فعكفوا على دراسة تاريخنا وتعمقوا فى البحث والتنقيب حتى وضعوا أيديهم على الأمر الذى ساعدهم على تأليف العديد من الكتب فيه، ومنهم من أساء إلى الإسلام وطعن فى رسالته السمحاء وشريعته الغراء كما فعل جولدتسيهر فى كتابه الشريعة فى الإسلام وما تناوله فيه من كذب وافتراء وحجج ضعيفة واهية وأحكام ضاحضة لا يليق بأى مسلم أن يتنازل إلى مستوى هذا المستشرق أو يرد عليه.

أما ما قدمه بعض المستشرقين وخلفوه من مؤلفات وكتابات فمن واجبنا أن نتعامل معها بحذر ولا بأس من الاستفادة منها شريطة ألا يصل بنا الأمر إلى درجة تقليدهم، بل لابد من الاعتماد على أنفسنا؛ لأن مرحلة التقليد لهؤلاء قد انقضت وفات أوانها[٩٥]. وهذا ما يراه الأستاذ محمد خلف الله. إذن الحيطة مطلوبة فيما نقرأ وفيما نكتب وهذا لا يتحقق إلا إذا تعاملنا مع كتابات المستشرقين ودراساتهم بكل دقة وعناية.

وبالإضافة إلى فضل العرب على الغرب فى مختلف العلوم ما تزخر به بعض المكتبات التى ما زالت تحتفظ بهذه التصانيف مثل مكتبة جامعة (ليدن) بألمانيا التى يوجد بها كتاب عربى مكتوب على الورق، وهو كتاب (غريب الحديث) لأبى عبيد الله القاسم بن سلام، ويرجع تاريخه إلى سنة (٢٥٢هـ = ٨٦٦م)، ومن المرجح أنه أحد أقدم المؤلفات التى تمت كتابتها على الورق ..

وفى المتحف البريطانى يوجد كتاب مؤرخ فى سنة (٩٦٠م) لطبيب عربى فى تغذية مختلف أعضاء الجسم، وهو أقدم كتاب مكتوب على الورق[٩٦].

ولعل فى هذه الشواهد التى سقناها دليلاً كافياً على ما خلفه علماء العرب لدول أوربا وشعوبها حيث أصبحت هذه المؤلفات مرجعاً لطلاب العلم والمعرفة على اختلاف جنسياتهم وتعدد بلدانهم. فى الوقت الذى نجد فيه كثيراً من المستشرقين لا ينكرون هذا الفضل ومن بين هؤلاء المستشرق الألمانى جورج يعقوب الذى يرى أن فضل الشرق على الغرب حقيقة مدركة خاصة فى العصور الوسطى وهو يرجع ذلك إلى عاملين مهمين ، أولهما مادة الكتابة وتوفر الورق الذى ساعد على طباعة الكتب وانتشار الثقافة التى عرفتها الإنسانية. والعامل الآخر مرده إلى الحروف الأبجدية الصوتية التى لولاها لما تطورت الطباعة ولا كان بالإمكان التعبير عن الثروة اللغوية التى تواكب وتجارى الحياة الثقافية لدى الغرب ومن فى حكمهم[٩٧].

إلا أنه مما يؤسف له أن اعتراف الأجانب بفضل العرب عليهم نجد من يقابل ذلك بالجحود والحقد والضغينة فيقابل هذا الجميل بحرق وإبادة جميع المؤلفات.. كما فعل ذلك «الإمبراطور الصينى (تن شيهو انجتى) سنة ٢١٣ ق.م عقاباً لمؤلفيها الذين تجرأوا على نقد نشاطه السياسي.. [٩٨].

بهذا نكون قد كشفنا النقاب عن أهمية الكتابة فى الحضارة العربية، هذه الكتابة التى بدأت فى صورة بدائية عانى منها الأقدمون عناءً لا يخفى على طلاب العلم والدارسين والعاكفين عليه، ثم تدرجت هذه الحضارة نحو الرقى شيئاً فشيئاً بفضل جهود العرب ومثابرتهم التى آتت أكلها كل حين وحفرت بصمات لا تمحى مهما عفَّ عليها الزمن، فها هى المؤلفات الضخمة الزاخرة بما وصل إليه علماؤنا الأوائل ومهدوا لنا طريق العلم والمعرفة وأناروا لنا مشعل الهداية الذى أصبح يستلمه جيل بعد جيل .. وهذا كله دفع بالحضارة أن تبسط جناحيها وأن تحقق للبشرية ما ترجوه وما تهدف إليه، لتنهض من سباتها العميق وتضعها على عجلة التقدم لتلحق بالركب، والعرب دائماً هم أمة الحضارة والسباقون للشعوب كلها ، وحتى الغربيون الذين جابوا الآفاق حتى وصلوا عصر النهضة التى نشاهدها اليوم عن كثب وهم بلا شك مدينون للعرب الذين غرسوا لواء الحضارة منذ زمن بعيد. واعتراف الغربيين بهذا شىء ضمنى.

أما أنا شخصياً فما زلت أذكر أننى فى عام ١٩٧٧م أثناء تواجدى فى مدينة (بون) عاصمة ألمانيا الغربية فى ذلك الوقت وفى أحد المستشفيات التابعة للجامعة لاحظت أنهم اتخذوا

شعار هذا المستشفى تمثالاً من النحاس لابن سينا، حيث قرأت ما نصه: (الطبيب الفيلسوف المسلم ابن سينا). [ولد سنة ٩٨٠م وتوفى عام ١٠٣٦].

أليس هذا دليلاً كافياً على تقدير الغربيين لعلماء المسلمين والاعتراف بجهودهم، ناهيك عن الاستفادة من نتاجهم ومؤلفاتهم لاسيما الكتب العلمية التى مازالت تعد مراجع فى العديد من الجامعات الأوربية، والفضل ما شهدت به الأعداء. وعلى الله قصد السبيل .

الخاتمة :

تضمن هذا البحث أهمية الكتابة في الحضارة العربية ، وكيف بدأت الكتابة في صورة بدائية ثم التحمت بالحضارة ، وتدرجت معها شيئا فشيئا نحو التقدم والرقي ، الأمر الذي دفع بالحضارة أن تبسط جناحيها وأن تحقق للبشرية ماتصبو إليه ، وتسعى إلى تحقيقه . وبفضل ذلك نمت الكتابة وازدهرت الحضارة ، وتأثرت كل منهما بالأخرى تاركة بصمات لا تمحى مهما عف عليها الزمن ومرت عليها العصور ، ومما لا شك فيه أن العرب دائما سباقون لخوض مجال العلم والبحث دون غيرهم من الشعوب الأخرى ، وذلك في مختلف مجالات الحياة .

الهوامش:

القرآن الكريم:

(١) القلقشندى أبو العباس أحمد بن علي (ت:٨٢١هـ) : صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه .. محمد حسين شمس الدين، طبعة ضبطت وقوبلت على طبعة دار الكتب المصرية. دار الكتب العلمية ودار الفكر ... بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج١. ص ص ٨١، ٨٢.

(٢) نفسه، ص ٨٢ .

(٣)نفسه، ص ٨١ .

(٤) محمد طاهر الكردى (د): تاريخ الخط العربى وآدائه، مكتبة الهلال، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ / ١٩٣٥م. ص ٧،(*) صحيح مسلم بشرح النووي،دار بن حزم بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م طبعة منقحة بزيادات الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي،المجلد الخامس،ج ١٤ ص١٩٩

(٥) الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، مراجعة وتعليق الدكتور مراد كامل، دار الهلال، طبعة(د – ت)، ص ١٦٠ .

(٦) إبراهيم نمير سيف الدين وآخرون:مصر فى العصور القديمة، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م. ص ص ٢١٤، ٢١٥.

(٧) يوسف بديرى ويوسف اسمندر: الدراسات الأكاديمية فى تاريخ الخط العربى ومجالياته وتقنياته، دار لؤى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م. ص ١٦.

(٨) محمد طاهر الكردى: تاريخ الخط العربى وآدابه، مرجع سابق. ص ٢٥.

(٩) سهيلة ياسين الجبورى: الخط العربى وتطوره فى العصور العباسية فى العراق، مطبعة الزهراء، بغداد ١٩٦٢. ص ١٥.

(١٠) انظر شوقى ضيف (د): العصر الجاهلى، دار المعارف، الطبعة الثالثة عشرة (د–ت). ص ١٤١.

(١١) الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون (الذخائر ٧)، مؤسسة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الثالثة. ج٣، ص ٢٨.

(١٢) دكتور شوقى ضيف: العصر الجاهلى. ص ٣٢.

(١٣) الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (الذخائر ٧٤)، طبعةق صور الثقافة، طبعة ٢٠٠٤، ج١. ص ٧١. (*) "الطرق" بالكسر: معناه هنا القوة.

(١٤) تاريخ الطبرى: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة (د–ت) مجلد ٢. ص ص ٢٤٠، ٢٤١ (بتصرف).

(١٥) دكتور شوقى ضيف: العصر الجاهلى. ص ١٣٨ – ١٥٨.

(١٦) شعبان عبد العزيز خليفة (د): الكتابة العربية فى مرحلة النشوء والارتقاء، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م. ص ١٤٤. نقلاً عن كتاب: نشأة الكتابة الفنية، دكتور حسين نصار، القاهرة ١٩٦٦م. ص ٢١.

(١٧) لويس شيخو: شعراء النصرانية (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية). دار المشرق، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٩م. ص ١٥٥.

(١٨) عبد الفتاح مصطفى عنيمة (د): دراسة حول الكتابة العربية، تاريخها وتطورها، الطبعة الثانية (د–ت). ج١، ص ١٩٨.

(١٩) ابن خلدون: المقدمة، تحقيق دكتور على عبد الواحد وافى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م. ج٣، ص ص ١١٦٣، ١١٦٤.

(٢٠) السيوطى: المزهر فى علوم اللغة وآدابها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، على محمد البجاوى. دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة (د–ت). ج١، ص ٣٠.

(٢١) محمد بن سلام الجمحى: طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدنى بجدة (د–ت). ج١، ص ٩.

[٢٢] ديوان عمرو بن كلثوم: شرح عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربى، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ص ٧٩.

[٢٣] جواد على (د): المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ج١، ص ٣٩.

[٢٤] انظر، ناصر الدين الأسد (د): مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة السابعة ١٩٨٨م. ص ٤٥.

[٢٥] الإمام محمد بن جرير الطبرى: تفسير الطبرى، تحقيق محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية (د–ت). ج٢، ص ص ٢٥٨، ٢٥٩.

[٢٦] الوزراء والكتاب: تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبيارى، عبد الحفيظ شلبى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م. ص ٢.

[٢٧] المرجع نفسه: ص ١١.

[٢٨] ديوان أمية بن أبى الصلت: قدم له وعلق حواشيه، سيف الدين الكاتب، أحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان. ص ٧٧.

[٢٩] لسان العرب، ابن منظور، أبوالفضل جمال الدين محمد ابن مكرم (ت : ٧١١هـ)، طبعة جديدة مصححة : بعناية، أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ٢٢٠/١ .

[٣٠] دائرة المعارف الإسلامية، فينسينك وآخرون، دار الشعب، الطبعة الثانية، ١٩٦٩، مادة أمي .

[٣١] دفاعا عن القرآن ضد منتقديه، ترجمة كمال جاد الله، مطابع الأهرام التجارية، قليوب – مصر ١٤٣٦هـ، ص ٥٨ .

[٣٢] محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ١٣٣/٩ .

[٣٣] علي شواخ اسحاق : ماذا حول أمية الرسول صلى الله عليه وسلم،دار السلام للنشر،بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٨م ص ٩٠ .

[٣٤] أحمد بهجت : أنبياء الله، دار الشروق، الطبعة التاسعة والعشرون، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٤٠٣ .

[٣٥] الليدي ايفلين كوبولد : كتاب : البحث عن الله،واسمه الأصلي(الحج إلى مكة) والتي كتبته بعد اعتناقها الإسلام وقيامها بحج بيت الله الحرام ص٥١-٦٦ .

[٣٦] محمود علي مكي(د): المدائح النبوية، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العامة للنشر – لونج مان – الطبعة الأولى ١٩٩١، التمهيد ص ١، سلسلة أدبيات .

[٣٧] لويس سيديو: تاريخ العرب العام، تحقيق عادل زعيتر، طبعة دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص ١٥ .

[٣٨] لسان العرب، مادة (أمّيّ) .

[٣٩] نفسه، حرف : (الهمزة) .

[٤٠] صحيح مسلم، طبعة مصححة ومنقحة بزيادات الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعة الأولى،١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، دار ابن حزم، بيروت لبنان، المجلد ١٥ الجزء الخامس عشر ص ١٨٨ .

[٤١] القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق مصطفى السقا،طبعة(د – ت)، ٣٣٨/٥ .

[٤٢] الزمخشري : الكشاف ٤٦٢/٣ .

[٤٣] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٧٦/١٩ .

(*) لسان العرب مادة (إقرأ) وياقوت الحموي : معجم البلدان: تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م: ٥ / ١٣٥.

[٤٤] ابن تيمية (شيخ الإسلام أبوالعباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم الحراني (ت ٧٢٨هـ) : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، تحقيق علي بن حسن بن ناصر و آخرين، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، المجلد الأول ص ص ٣٩١، ٣٩٢ .

[٤٥] ابن سعد: الطبقات الكبرى، تحقيق حمزة النشرتى وآخرين، طبعة (د–ت): ٢ / ٢٧.

(٤٦) أحمد أمين: فجر الإسلام، الطبعة الرابعة عشرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (د–ت). ص ص ١٤١، ١٤٢.

(٤٧) دكتور، شوقى ضيف: العصر الإسلامى، دار المعارف، الطبعة السابعة (د–ت). ص ١٣٠.

(٤٨) الحافظ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ج١، ص ١١١.

(٤٩) سنن ابن ماجة: حقق نصوصه ورقم كتبه ... محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث العربى ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. ج١، ص ٥٣٠. رقم الحديث: (١٦٥٦).

(٥٠) الألوسى: روح المعانى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. الجزء الحادى والعشرون. ص ٧.

(٥١) القلقشندى: صبح الأعشى: ١ / ٧١، ٧٢.

(٥٢) جواد على: المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: ٨ / ٩٢.

(٥٣) الطاهر أحمد مكى (د): نوادر المخطوطات (الذخائر ٧١)، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة (د–ت): ٢/ ٩٥.

(٥٤) الطاهر أحمد مكى (د): دراسة فى مصادر الأدب، دار المعارف، الطبعة السادسة ١٩٨٦م. ص ٣٦.

(٥٥) دكتور ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية. ص ٣٢.

(٥٦) عباس محمود حمودة (د): وفوزى سالم عفيفى، تطور الكتابة الخطية العربية، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ص ٩٣.

(٥٧) انظر شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى النثر العربى، دار المعارف، الطبعة الثالثة عشرة، ص ٩٦، (سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية) .

(٥٨) انظر يحيى وهيب الجبورى (د): الخط والكتابة فى الحضارة العربية، دار الغرب الإسلامى، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م. ص ٥٥.

(٥٩) الجهشيارى: الوزراء والكتاب. ص ١٤.

(٦٠) ابن سعد: الطبقات، تحقيق حمزة النشرتى وآخرين: ١ / ٣٦٥، ٣٦٦.

(٦١) جلال مظهر: محمد رسول الله سيرته وأثره فى الحضارة، مكتبة الخانجى بالقاهرة، طبعة (د–ت). ص ٢٩١.

(٦٢) محمد يوسف الكاندهولى: حياة الصحابة، حققه وخرج أحاديثه دكتور كمال على الجمل والشيخ محمد بيومى، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م. المجلد الثانى. ص ٨٩.

(٦٣) انظر، محمد فتح الله كَولَنْ: النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية، دار النيل، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م: ١ / ٢٠٦.

(٦٤) انظر المرجع نفسه والصفحة نفسها.

(٦٥) انظر، دكتور عبد العزيز حميد صالح وآخرين: الخط العربى، جامعة بغداد، طبع بمطابع التعليم العالى بالموصل، طبعة (د–ت). ص ص ٤٥، ٤٦.

(٦٦) انظر، محمد يوسف الكاندهولى: حياة الصحابة. ج١، ص ١٠٣ – ١١٠ – ١١٥ – ١١٨.

(٦٧) ابن سعد: الطبقات: ١ / ٣٨٨.

(٦٨) دكتور شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى النثر العربى، ص ٩٦ .

(٦٩) تاريخ الكتابة: كتاب مترجم من الفرنسية إلى العربية، تقديم دكتور إسماعيل سراج الدين، طباعة مكتبة الإسكندرية، مصر ٢٠٠٥م. تحرير خالد عزب، أشرف على النسخة الأصلية الفرنسية (آن مارى كريستان). ص ٢١٩.

(٧٠) أبحاث الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب المنعقدة بجامعة حلب من ٢١ – ٢٥ نيسان ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. الأبحاث باللغة العربية، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العربى، إعداد مصطفى شيخ حمزة، الجزء الثانى. ص ٢١٢.

(٧١) دكتور شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى النثر العربى. ص ٩٩.

(٧٢) المرجع نفسه: ص ص ١٠٢، ١٠٣.

(٧٣) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١ / ٣٤.

(٧٤) الفهرست: حققه وقدم له، مصطفى الشويمى، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر ٢٠٠٧م. ص ص ١٩٣، ١٩٤.

(٧٥) المرجع نفسه: ص ٦٣.

(٧٦) انظر، دكتور شوقى ضيف: الفن ومذاهبه فى النثر العربى. ص ١٠٠.

(٧٧) القلقشندى: صبح الأعشى: ١ / ٥٣٧.

(٧٨) ابن النديم: الفهرست، ص ٨١. والأبيات لكلثوم بن عمر العتابى. (انظر خير الدين الزركلى: قاموس الأعلام، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٨م: ٥ / ٢٣١).

(٧٩) الجاحظ: الحيوان: ١ / ٥٠، ٥١.

(٨٠) معجم البلدان: تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ٥ / ١٣٥ .

(٨١) ابن النديم: الفهرست. ص ٨٠ .

(٨٢) شمس العرب تسطع على الغرب: المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة – أثر الحضارة العربية فى أوربة، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة التاسعة ١٤١١هـ / ١٩٩١م. ص ٣٨٨.

(٨٣) المرجع نفسه: ص ٣٩١.

(٨٤) انظر، دكتور طاهر أحمد مكى، نوادر المخطوطات. ص ٤٣ – ٦١.

(٨٥) المرجع نفسه : ص ٦٨.

(٨٦) شمس العرب: مرجع سابق. ص ٣٨٦.

(٨٧) الثعالبي: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص ١٦٥.

(*) الجِلْفَةُ: موضع الكتابة من القلم.

(٨٨) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٨٩) عبد الله العمرى (د): تاريخ العلم عند العرب، دار مجدلاوى للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م. ص ٩.

(٩٠) ديلاس أوليرى: الفكر العربى ومكانه فى التاريخ، ترجمة دكتور تمام حسان، طبعة وزارة الثقافة، القاهرة (د–ت)، مقدمة المترجم. ص ٩.

(٩١) دراسات فى الإسلام: يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص ص ١٤٦، ١٤٧ .

(٩٢) المرجع نفسه: ص ١٤٦ – ١٥٢.

(٩٣) نفسه.

(٩٤) على حسن الخربوطلى (د): العرب فى أوربا، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥م. ص ١٠٧.

(٩٥) انظر، محمد خلف الله: الإسلام والحضارة العربية، طبعة دار الجمهورية للطباعة والنشر، مصر (د–ت). ص ص ٢٣، ٢٤.

(٩٦) عبد الفتاح مصطفى: دراسات حول العربية، مرجع سابق. ص ١٩١.

(٩٧) انظر، جورج يعقوب: أثر الشرق فى الغرب، ترجمة بتصرف دكتور فؤاد حسنين على، مطبعة شركة مصر، القاهرة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م. ص ٣٤.

(٩٨) انظر، محمد ماهر حمادة: الكتاب فى العالم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ص ٧٢.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

(١) أبحاث الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب المنعقدة بجامعة حلب من ٢١ – ٢٥ نيسان ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. الأبحاث باللغة العربية، منشورات جامعة حلب، معهد التراث العربي، إعداد مصطفى شيخ حمزة، الجزء الثاني.

(٢) أثر الشرق فى الغرب، جورج يعقوب، ترجمة بتصرف دكتور فؤاد حسنين على، مطبعة شركة مصر، القاهرة ١٣٦٥هـ/ ١٩٤٦م.

(٣) الإسلام والحضارة العربية، محمد خلف الله، طبعة دار الجمهورية للطباعة والنشر، مصر (د– ت).

(٤) أنبياء الله، أحمد بهجت، دار الشروق، الطبعة التاسعة والعشرون، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

(٥) البحث عن الله، الليدي ايفلين كوبولد، واسمه الأصلي(الحج إلى مكة) والتي كتيته بعد اعتناقها الإسلام وقيامها بحج بيت الله الحرام.

(٦) البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (الذخائر ٧)، مؤسسة الخانجى بالقاهرة، الطبعة الثالثة. ج٣.

(٧) تاريخ الخط العربى وآدائه، محمد طاهر الكردى (د)، مكتبة الهلال، الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ / ١٩٣٥م،

(*) صحيح مسلم بشرح النووي، دار بن حزم بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٣٣ هـ / ٢٠١٢ م طبعة منقحة بزيادات الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي،المجلد الخامس،ج ١٤ ص١٩٩

(٨) تاريخ الطبرى: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة (د– ت) مجلد ٢.

(٩) تاريخ العرب العام، لويس سيديو، تحقيق عادل زعيتر، طبعة دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠٠٩م.

(١٠) تاريخ العلم عند العرب، عبد الله العمرى (د)، دار مجدلاوى للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

(١١) تاريخ الكتابة: كتاب مترجم من الفرنسية إلى العربية، تقديم دكتور إسماعيل سراج الدين، طباعة مكتبة الإسكندرية، مصر ٢٠٠٥م. تحرير خالد عزب، أشرف على النسخة الأصلية الفرنسية (آن مارى كريستان).

(١٢) تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

(١٣) تطور الكتابة الخطية العربية، عباس محمود حمودة (د): وفوزى سالم عفيفى، دار نهضة الشرق، جامعة القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.

(١٤) تفسير الطبرى، الإمام محمد بن جرير الطبرى، تحقيق محمود محمد شاكر، وأحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية (د–ت). ج٢.

(١٥) تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ج١.

(١٦) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

(١٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق مصطفى السقا،طبعة(د – ت).

(١٨) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، تحقيق علي بن حسن بن ناصر و آخرين، دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، المجلد الأول .

(١٩) الخط العربى، دكتور عبد العزيز حميد صالح وآخرين، جامعة بغداد، طبع بمطابع التعليم العالى بالموصل، طبعة (د–ت).

[٢٠] حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهولى، حققه وخرج أحاديثه دكتور كمال على الجمل والشيخ محمد بيومى، مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع بالمنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م. المجلد الثانى.

[٢١] الحيوان، الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، (الذخائر ٧٤)، طبعةق صور الثقافة، طبعة ٢٠٠٤، ج١. (*) "الطرق" بالكسر: معناه هنا القوة.

[٢٢] الخط العربى وتطوره فى العصور العباسية فى العراق، سهيلة ياسين الجبورى، مطبعة الزهراء، بغداد ١٩٦٢.

[٢٣] الخط والكتابة فى الحضارة العربية، يحيى وهيب الجبورى (د)، دار الغرب الإسلامى، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.

([٢٤]) دائرة المعارف الإسلامية، فينسينك وآخرون، دار الشعب، الطبعة الثانية، ١٩٦٩، مادة أمي .

[٢٥] الدراسات الأكاديمية فى تاريخ الخط العربى ومجالياته وتقنياته، يوسف بديرى ويوسف اسمندر، دار لؤى للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

[٢٦] دراسة حول الكتابة العربية، عبد الفتاح مصطفى عنيمة (د)، تاريخها وتطورها، الطبعة الثانية (د–ت). ج١.

[٢٧] دراسات فى الإسلام: يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، يشرف على إصدارها: محمد توفيق عويضة، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

[٢٨] دراسة فى مصادر الأدب، الطاهر أحمد مكى (د)، دار المعارف، الطبعة السادسة ١٩٨٦م.

[٢٩] دفاعا عن القرآن ضد منتقديه، دكتور عبدالرحمن بدوي، ترجمة كمال جاد الله، مطابع الأهرام التجارية، قليوب، مصر، ١٤٣٦ هـ.

(٣٠) ديوان أمية بن أبى الصلت: قدم له وعلق حواشيه، سيف الدين الكاتب، أحمد عصام الكاتب، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت – لبنان.

(٣١) ديوان عمرو بن كلثوم: شرح عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربى، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

(٣٢) روح المعانى...، الألوسى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. الجزء الحادى والعشرون.

(٣٣) سنن ابن ماجة: حقق نصوصه ورقم كتبه ... محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء التراث العربى ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. ج١، ص ٥٣٠. رقم الحديث: (١٦٥٦).

(٣٤) شعراء النصرانية (النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية)، لويس شيخو، دار المشرق، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٩٨٩م.

(٣٥) شمس العرب تسطع على الغرب: المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة – أثر الحضارة العربية فى أوربة، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، دار الآفاق الجديدة، المغرب، الطبعة التاسعة ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

(٣٦) صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، القلقشندى أبو العباس أحمد بن علي، شرحه وعلق عليه .. محمد حسين شمس الدين، طبعة ضبطت وقوبلت على طبعة دار الكتب المصرية. دار الكتب العلمية ودار الفكر ... بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ج١.

(٣٧) صحيح مسلم، طبعة مصححة ومنقحة بزيادات الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي، الطبعى الأولى،١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، دار ابن حزم، بيروت لبنان، المجلد ١٥ الجزء الخامس عشر.

(٣٨) الطبقات الكبرى، ابن سعد، تحقيق حمزة النشرتى وآخرين، طبعة (د–ت).

(٣٩) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحى، تحقيق محمود محمد شاكر، دار المدنى بجدة (د–ت).

(٤٠) العصر الإسلامى، دكتور، شوقى ضيف، دار المعارف، الطبعة السابعة (د–ت).

(٤١) العصر الجاهلى، شوقى ضيف (د)، دار المعارف، الطبعة الثالثة عشرة (د–ت).

(٤٢) العرب فى أوربا، على حسن الخربوطلى (د)، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥م.

(٤٣) فجر الإسلام، أحمد أمين، الطبعة الرابعة عشرة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (د–ت).

(٤٤) الفكر العربى ومكانه فى التاريخ، ديلاس أوليرى، ترجمة دكتور تمام حسان، طبعة وزارة الثقافة، القـــاهرة (د–ت)، مقدمة المترجم.

(٤٥) الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية، جورجي زيدان، مراجعة وتعليق، (د) مراد كامل، دار الهلال، طبعة (د — ت) .

(٤٦) الفن ومذاهبه فى النثر العربى، (د) شوقى ضيف، دار المعارف، الطبعة الثالثة عشرة، (سلسلة مكتبة الدراسات الأدبية) .

(٤٧) الفهرست، ابن النديم، حققه وقدم له، مصطفى الشويمى، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر ٢٠٠٧م.

(٤٨) قاموس الأعلام، خير الدين الزركلى، دار العلم للملايين، الطبعة الثالثة عشرة، ١٩٩٨م.

(٤٩) الكتابة العربية فى مرحلة النشوء والارتقاء، شعبان عبد العزيز خليفة (د)، العربى للنشر والتوزيع، ١٩٨٩م.. نقلاً عن كتاب: نشأة الكتابة الفنية، دكتور حسين نصار، القاهرة ١٩٦٦م.

(٥٠) الكتاب فى العالم، مؤسسة الرسالة، حمد ماهر حمادة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(٥١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان.

(٥٢) لسان العرب، ابن منظور، طبعة جديدة مصححة : بعناية، أمين محمد عبدالوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

(٥٣) محمد رسول الله سيرته وأثره فى الحضارة، جلال مظهر، مكتبة الخانجى بالقاهرة، طبعة (د–ت).

(٥٤) المدائح النبوية، محمود علي مكي(د)، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العامة للنشر – لونج مان – الطبعة الأولى ١٩٩١، التمهيد، سلسلة أدبيات .

(٥٥) المزهر فى علوم اللغة وآدابها، السيوطى، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، على محمد البجاوى. دار التراث، القاهرة، الطبعة الثالثة (د–ت). ج١.

(٥٦) مصادر الشعر الجاهلى وقيمتها التاريخية، ناصر الدين الأسد (د)، دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة السابعة ١٩٨٨م.

(٥٧) مصر فى العصور القديمة، إبراهيم نمير سيف الدين وآخرون، مكتبة مدبولى، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١١هـ / ١٩٩١م.

(٥٨) معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

(٥٩) المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد على (د)، ساعدت جامعة بغداد على نشره، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م. ج١.

(٦٠) المقدمة، ابن خلدون، تحقيق دكتور على عبد الواحد وافى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م. ج٣.

(٦١) نوادر المخطوطات (الذخائر ٧١)، الطاهر أحمد مكى (د)، تحقيق عبد السلام هارون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة (د–ت).

[٦٢] النور الخالد محمد مفخرة الإنسانية، محمد فتح الله كَولَنْ، دار النيل، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

[٦٣] الوزراء والكتاب، الجهشياري، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبيارى، عبد الحفيظ شلبى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر، الطبعة الأولى ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.